حديث الغدير | وبطلان الاحتجاج به على الإمامة

لا عجب في زماننا هذا أن تجد من يتكئ على أدلة ونصوص لا تخدم منهجه ومراده؛ وذلك بِلَيِّ أعناقها وحشد الروايات المنكرة لتتفق مع هواه، تمامًا كما فعل الرافضة المبتدعة في حديث غدير خم([١])، فقد اختلقوا روايات وكذبوا على الله ورسوله، وزادوا في ذلك حتى عظَّموا يوم الغدير، وصيّروه عيدًا يُحتفل به([٢])، وفضَّلوه على يوم عرفة، وبنوا عليه عقائدهم، وشرعوا من الدين ما لم يأذن به الله، بل بعضهم خرج من جُحر التُّقْية علنًا فطعن في جناب رسول الله صلى الله عليه وسلم وافترى عليه ونسب إليه ما لم يقُلْه، وكفّر أصحابه رضي الله عنهم، وبعضهم اكتفى بإعلان ما يريد من ذلك حسب الظروف المتاحة له.

وعلماء المسلمين متفقون على أن الرافضة هم أكذب طوائف المبتدعة على الإطلاق([٣])، فدينهم وعقيدتهم تقوم على الكذب والافتراء على الله وعلى رسوله، وعلى تزوير التاريخ وتشويه الحقائق، والطعن في أهل السنة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فدينهم يقوم على الابتداع لا على الاتباع الذي أُمرنا به.

وسنتعرض -إن شاء الله- في هذه المقالة روايات هذا الحديث، وما حرره العلماء في معناه؛ حتى يُرفع الحجاب عن شبهة التنصيص على إمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

أولا: روايات غدير خُمّ:

جاء هذا الحديث عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم، منهم: زيد بن أرقم، وبريدة بن الحصيب، وعلي بن أبي طالب، وأبو أيوب الأنصاري رضي الله عنهم، وسنورد أصح هذه الروايات مع الإعراض عن الروايات المكذوبة والباطلة والمنكرة التي يستند عليها الشيعة.

عن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا فينا خطيبًا، بماء يدعى خُمًّا

بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: «أما بعد، ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به». فحَثَّ على كتاب الله ورغَّب فيه، ثم قال: «وأهل بيتي، أذكركم اللهَ في أهل بيتي، أذكركم اللهَ في أهل بيتي، أذكركم اللهَ في أهل بيتي»([٤]).

وعنه أيضًا رضي الله عنه قال: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع ونزل غدير خُمٍّ، أمر بدوحات([٥]) فقُمِمْن، فقال: «كأني قد دُعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله تعالى، وعِتْرتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يتفرقا حتى يَرِدا عليَّ الحوض». ثم قال: «إن الله عز وجل مولاي، وأنا مولى كل مؤمن». ثم أخذ بيد عليٍّ رضي الله عنه فقال: «من كنت مولاه فهذا وليّه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه»([٦]).

ورواه الترمذي من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه أيضًا، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من كنت مولاه فعَليٌّ مولاه». قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح([٧]).

وعن بريدة رضي الله عنهم، قال: «غزوت مع عليٍّ اليمن فرأيت منه جفوة، فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت عليًّا فتنقَّصته، فرأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتغيَّر، فقال: «يا بريدة ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قلت: بلى يا رسول الله. قال: «من كنت مولاه فعَليٌّ مولاه»([٨]).

وعن سعيد بن وهب وزيد بن يثيع قالا: نشد عليٌّ الناس في الرحبة: من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدير خُمٍّ إلا قام. قال: فقام من قبل سعيد ستة ومن قبل زيد ستة فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلي رضي الله عنه يوم غدير خُمٍّ: أليس الله أولى بالمؤمنين؟ قالوا: بلى. قال: «اللهم من كنت مولاه فعَليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه» ([٩]).

وعن رياح بن الحارث –وهو من كبار التابعين– قال: "جاء رهط إلى عليٍّ بالرحبة، فقالوا: السلام عليك يا مولانا. قال: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟! قالوا: سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خُمٍّ يقول: «من كنت مولاه فإن هذا مولاه». قال رياح: فلما مضوا تبعتهم، فسألت: من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري"([١٠]).

ثانيًا: نقض شبهة التنصيص على إمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

من شُبه الرافضة حول هذا الحديث زعمهم أن فيه تنصيصًا على إمامة علي رضي الله عنه؛ وزعموا أن معنى المولى في الحديث: الحاكم والخليفة.

والرد على ذلك من وجوه:

الوجه الأول: لفهم أي حديث لا بد من معرفة سبب وروده إن وُجد له سبب؛ لأنه مُعين على فهمه، كما أن سبب نزول الآية معين على فهمها. وسبب حديث غدير خُمّ هو أن النبي صلى الله عليه وسلم قبْل حجة الوداع أرسل خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى اليمن في قتال انتصر خالد في جهاده، وغنم غنائم، فأرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره بذلك، ويطلب إرسال من يُخمِّس تلك الغنائم، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه لتلك المهمة، ثم أمره أن يدركه في الحج، وقسّم رضي الله عنه تلك الغنائم كما أمر الله: أربعةَ أخماس للمجاهدين، وخُمسًا لله والرسول وذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل. فأخذ عليٌّ خُمس ذوي القربى –وهو سيد ذوي القربى– للنبي صلى الله عليه وسلم، فغضب بعض الصحابة كبُريدة بن الحصيب رضي الله عنه، فاشتكى بُريدة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقصَّ عليه ما فعل عليٌّ، فلم يَردّ عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وكرَّر بريدة الشكوى وما حصل من عليٍّ، فلما كانت الثالثة قال: يا رسول الله، عليٌّ فعل كذا وكذا، فقال النبي: «يا بريدة أتبغض عليًّا؟ قال: نعم يا رسول الله، فقال: «لا تفعل فإن له في الخُمس أكثر من ذلك». يقول بريدة رضي الله عنه: فأحببته بعد ذلك؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تبغضه([١١]).

قال ابن حجر الهيتمي: "وسبب ذلك كما نقله الحافظ شمس الدين الجزري عن ابن إسحاق أن عليًّا تكلم فيه بعض من كان معه في اليمن، فلما قضى صلى الله عليه وسلم حجّه خطبها تنبيهًا على قدره، وردًّا على من تكلم فيه: كبريدة؛ لما في البخاري أنه كان يبغضه([١٢]).

وقال البيهقي رحمه الله تعالى: ‘‘وأما حديث الموالاة فليس فيه -إن صح إسناده- نص على ولاية عليٍّ بعده، فقد ذكرنا من طرقه في كتاب الفضائل ما دل على مقصود النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك، وهو أنه لما بعثه إلى اليمن كثُرت الشكاة عنه وأظهروا بغضه، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يذكر اختصاصه به ومحبته إياه، ويحثهم بذلك على محبته وموالاته وترك معاداته’’([١٣]).

وقال الحافظ ابن كثير: ‘‘فصل في إيراد الحديث الدال على أنه عليه السلام خطب بمكان بين مكة والمدينة مرجعه من حجة الوداع قريب من الجحفة -يقال له: غدير خُمّ-، فبيَّن فيها فضل علي بن أبي طالب وبراءة عِرضه مما كان تكلم فيه بعض من كان معه بأرض اليمن، بسبب ما كان صدر منه إليهم من المعدلة التي ظنها بعضهم جورًا وتضييقًا وبخلًا، والصواب كان معه في ذلك، ولهذا لما تفرغ عليه السلام من بيان المناسك ورجع إلى المدينة بيَّن ذلك في أثناء الطريق، فخطب خطبة عظيمة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة عامئذ، وكان يوم الأحد بغدير خُمّ تحت شجرة هناك، فبين فيها أشياء. وذكر من فضل عليٍّ وأمانته وعدله وقربه إليه ما أزاح به ما كان في نفوس كثير من الناس منه’’([١٤]).

الوجه الثاني: دعواهم أن معنى المولى في الحديث: الحاكم والخليفة لا يصح؛ لأن المولى له معانٍ كثيرة منها: الرب والمالك والسيد والمنعم والمعتق والناصر والمحب والتابع والجار وابن العم والحليف والعقيد والصهر والعبد والمعتق والمنعم عليه([١٥]). والمقصود بالموالاة في الحديث: المودة والمحبة والمؤازرة، وهي ضد المعاداة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ‘‘وليس في الكلام ما يدل دلالة بينة على أن المراد به الخلافة، وذلك أن المولى كالولي، والله تعالى قال: {إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا} [سورة المائدة: ٥٥]، وقال: {وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير} [سورة التحريم: ٤]، فبيَّن أن الرسول ولي المؤمنين، وأنهم مواليه أيضًا، كما بيَّن أن الله ولي المؤمنين وأنهم أولياؤهم، وأن المؤمنين بعضهم أولياء بعض.

فالموالاة ضد المعاداة، وهي تثبت من الطرفين، وإن كان أحد المتواليين أعظم قدرًا وولايته إحسان وتفضل، وولاية الآخر طاعة وعبادة، كما أن الله يحب المؤمنين، والمؤمنون يحبونه، فإن الموالاة ضد المعاداة والمحاربة والمخادعة، والكفار لا يحبون الله ورسوله، ويحادون الله ورسوله ويعادونه.

وقد قال تعالى: {لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء} [سورة الممتحنة: ١]، وهو يجازيهم على ذلك كما قال تعالى: {فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله} [سورة البقرة: ٢٧٩].

وهو ولي المؤمنين وهو مولاهم يخرجهم من الظلمات إلى النور، وإذا كان كذلك فمعنى كون الله ولي المؤمنين ومولاهم، وكون الرسول وليهم ومولاهم، وكون عليّ مولاهم، هي الموالاة التي هي ضد المعاداة"([١٦]).

الوجه الثالث: بعد النظر في روايات حديث الغدير السالفة وهي أصح ما في الباب، يتبين جليًّا أنه ليس في شيء منها ما يدل على خلافة علي رضي الله عنه من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكيف يوصي رسول الله صلى الله عليه وسلم لعليٍّ ويُخالف أمره صلى الله عليه وسلم، وقد أوصى أبو بكر لعمر رضي الله عنهما وامتثل الناس أمره رضي الله عنه؟! فهل وصية أبي بكر رضي الله عنه أجلّ من وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم عند المسلمين؟!

الوجه الرابع: أن حديث الغدير كان في الثامن عشر من ذي الحجة، أي بعد نزول قوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: ٣]، وثبت في الصحيحين([١٧]) أنها نزلت يوم الجمعة بعرفة، فكيف تكون إمامة علي رضي الله عنه من أصول الدين ولم يبلِّغها النبي صلى الله عليه وسلم إلا بعد إكمال الدين وإتمام النعمة بتسعة أيام؟! قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهذا مما يبيّن أن الذي جرى يوم الغدير لم يكن مما أمر بتبليغه، كالذي بلّغه في حجة الوداع، فإن كثيرًا من الذين حجّوا معه – أو أكثرهم– لم يرجعوا معه إلى المدينة، بل رجع أهل مكة إلى مكة، وأهل الطائف إلى الطائف، وأهل اليمن إلى اليمن، وأهل البوادي القريبة من ذاك إلى بواديهم، وإنما رجع معه أهل

المدينة ومن كان قريبًا منها.

فلو كان ما ذكره يوم الغدير مما أمر بتبليغه كالذي بلّغه في الحج، لبلّغه في حجة الوداع كما بلّغ غيره، فلما لم يذكر في حجة الوداع إمامة ولا ما يتعلق بالإمامة أصلًا، ولم ينقل أحد بإسناد صحيح ولا ضعيف أنه في حجة الوداع ذكر إمامة عليٍّ، بل ولا ذكر عليًّا في شيء من خطبته، وهو المجمع العام الذي أمر فيه بالتبليغ العام = عُلِم أن إمامة عليٍّ لم تكن من الدين الذي أمر بتبليغه"([١٨]).

الوجه الخامس: يتضح من كلام شيخ الإسلام حول الحديث الأول الذي أخرجه مسلم في صحيحه حيث قال رحمه الله: "فليس فيه إلا الوصية باتباع كتاب الله، وهذا أمر قد تقدمت الوصية به في حجة الوداع قبل ذلك، وهو لم يأمر باتباع العترة، ولكن قال: «أذكركم الله في أهل بيتي»، وتذكير الأمة بهم يقتضي أن يذكروا ما تقدم الأمر به قبل ذلك من إعطائهم حقوقهم، والامتناع من ظلمهم، وهذا أمر قد تقدم بيانه قبل غدير خُمّ، فعُلم أنه لم يكن في غدير خُمّ أمر يُشرع نزل إذ ذاك، لا في حق عليٍّ ولا غيره، لا إمامته ولا غيرها"([١٩]).

فهذه هي حادثة الغدير، وذلك خبره، وبذلك نعلم "أنه لا حظّ للشيعة فيه، ولا مُتمسَّك لهم ولا دليل"([٢٠]).

([١]) الغدير: القطعة من الماء يُغادِرُها السيل؛ وخُمّ: مكان بين مكة والمدينة قريب من الجحفة نزل به النبي صلى الله عليه وسلم في رجوعه من حجة الوداع، وهو أقرب إلى المدينة منه إلى مكة. ينظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ١٧٩/١٥، ولسان العرب ٨/٥.

([٢]) أوَّل من أحدث بدعة غدير خم هو الرافضي الجلْد معز الدولة ابن بويه سنة (٣٥٢هـ)، حيث أمر أن يُحتفل بهذا اليوم. ينظر: البداية والنهاية ٢٧٦/١١، والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي ٢٥٤/٢.

([٣]) ينظر: منهاج السنة ٢٦/١.

([٤]) رواه مسلم في صحيحه (٢٤٠٨)، وأحمد في مسنده (١٩٢٨٥).

([٥]) الدَّوْحَات: جمع دوحة، وهي: الشجرة العظيمة. مشارق الأنوار، للقاضي عياض (٢٦٣/١).

([٦]) رواه النسائي في الكبرى (٨١٤٨)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٧٦٥)، والحاكم في المستدرك (٤٥٧٦). ونقل ابن كثير عن الذهبي تصحيحه، كما في البداية والنهاية ٢٢٩/٥. وقال الألباني: وهو حديث صحيح غاية، جاء من طرق جماعة من الصحابة خرجت أحاديث سبعة منهم، ولبعضهم أكثر من طريق واحد، وقد خرجتها كلها وتكلمت على أسانيدها في سلسلة الأحاديث الصحيحة. ‘‘ظلال الجنة في تخريج أحاديث السنة’’ ٣٣٨/٢: وانظر التخريج الموسع للحديث في ‘‘سلسلة الأحاديث الصحيحة’’ ٣٣٠/٤.

([٧]) سنن الترمذي (ح ٣٧١٣). وصححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة ٣٣٠/٤.

([٨]) رواه أحمد في المسند (٢٢٩٩٥)، والنسائي في خصائص علي رضي الله عنه (٨١)، والحاكم في المستدرك (٤٥٧٨). وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٢٢٨/٥): ‘‘وهذا إسناد جيد قوي رجاله كلهم ثقات’’. وصححه الألباني في صحيح الجامع (١١١٢/٢).

([٩]) أخرجه عبدالله في زوائد المسند (٩٥٠). وهو صحيح لغيره. انظر: السلسلة الصحيحة ٣٣٨/٤.

([١٠]) رواه أحمد في مسنده (٢٣٦٠٩)، والطبراني في الكبير (٤٠٥٣). وإسناد أحمد

صحيح كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤١٦/٨، وقال الألباني: وهذا إسناد جيد رجاله ثقات. انظر: السلسلة الصحيحة ٣٤٠/٤.

([١١]) أصل القصة رواها البخاري (٤٣٤٩)، وأحمد (٢٣٠٨٦)، والبيهقي في الكبرى (٣٤٢/٦).

([١٢]) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة (١٠٩/١) لابن حجر الهيتمي الشافعي.

([١٣]) الاعتقاد (ص ٣٥٤).

([١٤]) البداية والنهاية ٢٢٧/٥.

([١٥]) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥١٠/٥).

([١٦]) منهاج السنة ٢٢٩/٧.

([١٧]) صحيح البخاري (٧٢٦٨)، صحيح مسلم (٣٠١٧).

([١٨]) منهاج السنة النبوية ٧/ ٢٢٧.

([١٩]) منهاج السنة النبوية ٧/ ٣١٨.

([٢٠]) البداية والنهاية ٢٢٨/٥.

https://salafcenter.org/١٦٦٧/